سُنَّةُ التَّدَافُع من منظور إسلامي

Law of Inter-Human Collision: An Islamic Perspective

Undang-undang Pertembungan antara Manusia dari perspektif Islam

معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتح بيانوني*

ملخص البحث

من السنن التي ذرأها الله تعالى في خلقه: سنة التدافع بين الناس، وهي ظاهرة من الظواهر الكونية، التي تتصل بحركة الإنسان وتفاعلاته في الكون والحياة.وهذه الدراسة بينت مفهوم سنة التدافع كقانون من القوانين الربانية يصور طبيعة العلاقة بين القوى المتنوعة في الحياة، وأوضحت أبعادها الإيجابية منها والسلبية، ابتداء من التكامل والتتميم وانتهاء بالتصادم والتصارع، كما جَعَلَتْ لمجالات التدافع آفاقا متنوعة، لتشمل مختلف الاهتمامات البشرية التي تشكل معالم الحضارة الإنسانية في هذه الحياة، كالجوانب الثقافية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها....وتطرقتْ إلى أبرز الوسائل التي يمكن أن تبرز من خلالها سنة التدافع، وتحقق الغاية من وجودها كسنة من سنن الكون المهمة في حياة البشر بتفاعلهم مع الكون والدين.... واعتمدت على مدلولات اللغة العربية ومفرداتها، وإعمال الفكر وتأملاته، وتوجيهات الشرع ونقولاته، ومعطيات الحياة العامة وتقلباتها، نظريا دونما خوض في التفصيلات التطبيقية، والتحليلات الميدانية. ومن هنا فقد تميزت هذه الدراسة بتناول سنة التدافع من منظور إسلامي عام، لتكون متمما ومكملا لما قدمه السابقون.

الكلمات الرئيسية: السنن، الحضارة، التدافع، التصادم، التكامل.

Abstract

Among the laws Allah has embedded in his creation, one is the law of collision among human beings. This is one of the natural phenomena related to the movement of humans and their interactions in the universe and life. This study explains the concept of the law of collision as one of the divine laws which depicts the nature of the relationship between the varied forces of life. The study explained both positive and negative dimensions of the law, starting with integration and complementing and ending with collision and clash. It also made diverse horizons of realms of collision which include various human concerns that shape milestones of human civilization in this life such as cultural, scientific, social, and economic and so on. Furthermore, the study turned to the outstanding means through which it is possible to surface the law

* باحث أول للدراسات الإسلامية في إدارة مكتب وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت

of collision to accomplish the objectives of its existence, as a law among the important laws of the universe, in the life of human beings in their interaction with the universe and religion. This study relied on the semantics of the Arabic language and its vocabulary, application of reason and reflection, guidance of Sharī'ah and its written records, and data of ordinary life and its ups and downs in a theoretical way without exploring applicative details and field analysis. Therefore, this study is characterized with addressing the law of collision from general Islamic perspective to contribute as an integral and complimentary study to what has been previously accomplished in the field.

Key Words: laws, civilization, clash, collision, integration.

Abstrak

Salah satu hukum antara hukum-hukum ciptaan Allah adalah hukum pertembungan antara manusia. Ini adalah satu fenomena alam yang berkait dengan pergerakan manusia dan interaksi mereka di dunia ini. Kajian ini menjelaskan konsep hukum pertembungan sebagai satu hukum Allah yang menggambarkan hubungan antara kehidupan berlainan kuasa. Kajian ini menjelaskan ciri-ciri positif dan negatif hukum ini, permulaan dengan integrasi dan pengakhiran dengan pertengkaran dan pertempuran.Hukum ini juga membentuk tonggak tamadun manusia dalam kehidupan ini seperti budaya, ilmu pengetahuan, sosial, ekonomik dan sebagainya. Selanjutnya, kajian ini menumpu pada kepentingan hukum ini dalam merialisasikan kewujudannya sebagai salah satu hukum dunia yang penting dalam interaksi manusia dengan kehidupan dunia dan agama. Kajian in bergantung kepada sematik Bahasa Arab dan kosa katanya, aplikasi kemunasabahan dan pemikiran, rekod bertulis dan ajaran Shariah, dan data kehidupan lazim. Oleh itu, kajian ini disifatkan sebagai kajian yang menumpu kepada hukum pertembungan dari perspektif umum Islam dan sebagai tambahan kepada kajian-kajian berkaitan sebelumnya.

Kata kunci: hukum, tamadun, tempur, pertembungan, integrasi.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن ولاه، وبعد: فإن من السنن التي ذرأها الله تعالى في خلقه: سنة التدافع بين الناس، وهي ظاهرة من الظواهر الكونية، التي تتصل بحركة الإنسان وتفاعلاته في الكون والحياة، ومن هنا تنبهت القوى العالمية بحضاراتها المتنوعة إلى سنة التدافع، وحاولت توجيهها وفقا لرؤياتها وتوجهاتها، فعُقِدت لها التجمعات والمؤتمرات والندوات، وأجريت من أجلها البحوث والدراسات، ووضعت على أساسها الخطط والسياسات، وتعددت نحوها الرؤى والأفكار، وتنوعت للتفاعل معها الأساليب والآليات، وكثرت من أجلها

الوسائل والأدوات، وعمت الفوضى والاضطراب في الأمة الإنسانية، لتعدد القوى الفاعلة، وتباين مستوياتها وتوجهاتها، فمن قوة إلى ضعف، ومن توافق إلى تناقض، ومن سلم إلى مواجه، وهكذا.

كما غلب على كثير من الكتابات الفكرية الإسلامية التي تناولت سنة التدافع بالدراسة الانطلاق من خلال ما كتبه أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد: صامويل هنتنجتون (1927- 2008م) عن صراع الحضارات، حيث صبغ الموضوع بنظرته نحو الثقافات المختلفة منطلقا من ثقافته الخاصة، سواء جاءت هذه الدراسات شارحة أو مبينة أو محللة لهذه النظرية،[1] أو كانت ردا عليها ومناقشة لها[2]، وحاولت بعض الدراسات الخروج بصورة إيجابية للعلاقة بين الحضارات تركز على الحوار والتعايش بدلا عن التصادم والتصارع، وذلك خلافا لما عرضه صامويل هنتنجتون (1927- 2008م)،[3] وغلب على كثير من الكتابات الفكرية المعاصرة عن سنة التدافع حصر مفهوم التدافع فيما هو متعارض ومتباين من حق وباطل، أو خير وشر، وركزت كثير منها في حديثها عن سنة التدافع على الجانب النظري التأصيلي لها،[4] من خلال بعض الآيات والنصوص الشرعية، والأدلة العقلية، دونما تركيز على حقيقتها ومظاهرها الواقعية، ووسائلها وآلياتها العملية.

ويبقى التساؤل قائما عن حقيقة الرؤية الإسلامية لسنة التدافع ومفهومها، وعن مجالاتها وأطرها، وعن آلياتها ووسائلها...، ومن هنا فقد رأيت تناول سنة التدافع من

---

[1] انظر عبد الرزاق مقري، **صدام الحضارات**، (مصر، المنصورة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1425هـ، 2004م).

[2] انظر يوسف القرضاوي، **المسلمون والعولمة**، (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1421هـ، 2000م)، ص 89- 123؛ ومحمد عمارة، **الحضارات العالمية تدافع أم صراع**، (مصر، مكتبة نهضة الطبعة الأولى، 1998م)، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد 24.

[3] عبد العزيز التويجري، **صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي**، (منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 1423هـ، 2002م)؛ محمد عمارة، **الحضارات العالمية تدافع أم صراع**.

[4] انظر يوسف القرضاوي، **المسلمون والعولمة**، موضوع سنة التدافع، ص 20، وما بعدها...؛ ورسالة ماجستير لكامل محمود شرباتي، **سنة التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم**، (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا،2000)؛ ورسالة ماجستير لمحمد الصرايرة، **سنة التدافع بين الحق و الباطل في القرآن الكريم**، (الجامعة الأردنية، 2006).

منظور إسلامي نظري، يسلط الضوء على مفهومها، ومضامينها، وآلياتها وأشكالها، وأدواتها وسائلها، ويعتمد على مدلولات اللغة العربية ومفرداتها، وإعمال الفكر وتأملاته، وتوجيهات الشرع ونقولاته، ومعطيات الحياة العامة وتقلباتها، دونما خوض في التفصيلات التطبيقية، والتحليلات الميدانية، سائلا المولى التوفيق والسداد.

تعريف سنة التدافع[5]

ومصطلح سنة التدافع يشمل مفردتي: (سنة ، تدافع)، فالسنة هي: الطريقة الثابتة والمتكررة،[6] قال تعالى: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا**﴾ (الفتح: 23).

وأما التدافع: فهو الإزالة مع الشدة، والإسهام في تقدم وظهور الآخر وسبقه، والإسراع إلى الأمر، والوصول إلى المنتهى.

جاء في "**لسان العرب**":

> الدفع: الإزالة بقوة... وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه، وتدافع القوم أي دفع بعضهم بعضا... وتدفع السيل و اندفع: دفع بعضه بعضا... والدفاع أيضا: الشيء العظيم يدفع به عظيم مثله... ويقال: هذا طريق يدفع إلى مكان كذا: أي ينتهي إليه، ودفع فلان إلى فلان أي انتهى إليه... واندفع الفرس أي أسرع في سيره...[7].

وقد أشار الزبيدي (1145- 1205هـ، 1732- 1790م) إلى تنوع معنى مادة الدفع بحسب الحرف المصاحب لها، فقال: "إِذا عُدِّيَ الدَّفْعُ بِإِلَى اقْتَضَى مُعْنَى الأَمَانَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿...**فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**...﴾، (النساء: 6)، وإِذا عُدِّيَ بِعَنْ اقْتَضَى مَعْنَى الحَمَايَةِ، كقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا**...﴾، (الحج: 38)...".[8]

---

[5] انظر عطية الويشي، **واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات**، (نهضة مصر)، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد 59، أهمية العودة إلى المصادر الأصيلة في هذا الموضوع، ص 46.

[6] انظر محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، (دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى)، ج 13، مادة سنن، ص 225.

7 ابن منظور، **لسان العرب**، ج 8، ص 87- 89؛ وانظر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت، مكتبة لبنان، 1415هـ، 1995م)، ج 1، ص 87.

8 محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (دار الهداية)، ج 20، ص 553.

وهذا البعد في معنى التدافع يفتح المجال أمام التفكر في مضامينه المتنوعة بحسب ما يتعدى به، إذ يمكن أن يتسع معنى التدافع ليشمل التدافع الإيجابي التكميلي، والتدافع السلبي التصادمي، وذلك بحسب السياق كما أشارت إلى ذلك كتب اللغة في تدفع السيل ودفع بعضه بعضا، فالتدافع بالأمر مغاير للتدافع عليه، أو الدفع عنه أو له، وهكذا...، ومع تعدد قوى الدفع المتنوعة تتشكل طاقة يدفع بعضها بعضا، وتستطيع أن تدفع ما تواجهه أو تصادمه...، وطاقة الدفع لا تصدر إلا عن تفاعل مجموعة من العناصر والمركبات، سواء منها المؤتلف المتوافق، أو المتنافر المتضاد، ليتشكل من مجموع ذلك صور متعددة وأشكال متنوعة للتدافع. قال محمد عمارة: "فالتدافع الحضاري الذي هو حراك وتنافس وتسابق، يحافظ على التعددية، ويتوسط بين الصراع وبين السكون، وهو فلسفة الإسلام وسبيل حضارتنا الإسلامية في العلاقات بين الحضارات".[9]

وبهذا يمكن تعريف سنة التدافع بأنها طريقة الله تعالى في توجيه التفاعل بين القوى المتعددة بحيث يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به، إيجابا أو سلبا، وذلك بصورة مستمرة ومتتابعة، تسهم في تحقيق التوازن بينها أولا، وتنتهي بظهور بعضها على بعض آخراً.

فبتدافع القوى تتحقق المعادلة بين قوى الخير فيما بينها، وقوى الشر فيما بينها أيضا، وتأخذ كل قوة محلها ومكانها، إيجابا في تحقيق التوازن بين هذه القوى نحو التكامل والتتميم، أو سلبا في تحقيق التوازن في العلاقة بين المتضادات نحو التصادم والتصارع، حيث تنقضي بعض هذه القوى في عملية التدافع وتبرز قوى أخرى، فتكون لها الريادة والسبق والظهور، وهكذا دواليك، ليستمر التوازن قائما في فاعلية سنة التدافع بين الناس في الحياة.

ومن صور التدافع الإيجابي بين الناس التكامل والتتميم،[10] فالتكامل يجمع بين الأجزاء ويتممها ويُجَمِّلها، والتتميم يصل بها إلى غايتها ومنتهاها، وذلك بين القوى المشتركة، والفعاليات المتوافقة، ومن صور التدافع السلبي التصارع،[11] بإزالة الآخر

---

[9] محمد عمارة، **الحضارات العالمية تدافع أم صراع**، ص 18- 19.

[10] – انظر دلالات المادة، ابن منظور، **لسان العرب**، ج 11، ص 598، وج 12، ص 67– 69؛ والرازي، **مختار الصحاح**، ج1، ص 241.

[11] – انظر دلالات المادة، ابن منظور، **لسان العرب**، ج 8، ص 197.

وإلغائه، أو منازعته والهيمنة عليه، فالتصارع وارد في التدافع وهو يمثل حالة من حالاته، ومن صوره أيضا التصادم،[12] لما فيه من مواجهة للآخر وتنافر عنه، إلى غير ذلك من أشكال تبرز التنافر والتضاد.

وفي كلا الاتجاهين الإيجابي والسلبي لا يمكن الحكم على واقع التدافع بالحسن أو بالقبح لمجرد كونه سلبيا أو إيجابيا، فلربما كان التدافع الإيجابي مذموما إذا كان ضد الحق والصواب، وفي الباطل وعلى الباطل، ولربما كان التدافع السلبي محمودا، إذا كان ضد الباطل، وفي الحق وعلى الحق، قال تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ (الإسراء: 81).

وتحفظ بعض الباحثين من تقرير التفاعل السلبي بين القوى كصورة من صور التدافع، فاختار لذلك مصطلحات أخرى تكون بديلة عنه، قال عبد العزيز التويجري –حفظه الله–: "لعل أكثر التعابير والمصطلحات انتشارا وشيوعا في العقد الأخير من القرن العشرين: صراع الحضارات، ومقابله: حوار الحضارات...، التفاعل الحضاري هو البديل للصراع..."[13].

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى سنة التدافع بين الناس في كتابه العزيز فقال: ﴿...**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾، (البقرة:251)، وقال أيضا: ﴿...**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**...﴾ (الحج:40).

وبالتأمل والتدقيق في قوله تعال: (بعضهم ببعض)، يمكن ملاحظة ما قدمتُ له من وجود صور التدافع الإيجابية والسلبية، فتدافع البعض الإيجابي في المشتركات بين كل طرف من الأطراف، يعتبر صورة من صور التدافع، كما أن تدافع البعض السلبي في المشتركات بين كل طرف من أطرافه يعتبر أيضا صورة من صور التدافع، وتدافع كلا الاتجاهين مع الآخر في المختلفات، يشكل صورة كبرى من صور التدافع أيضا، وهكذا.

والتدافع في الآيتين السابقتين جاء بعد الحديث عن موقف المؤمنين، من أعداء الله تعالى، حيث جاءت إحدى الآيتين بعد ذكر قصة داود عليه السلام مع جالوت،

---

[12]– انظر دلالات المادة، ابن منظور، **لسان العرب**، ج 12، ص 334.

13التويجري، **صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي**، ص 9– 21.

وبينت الصراع الذي حدث بينهما، ثم انتهى الصراع بنصر الله تعالى لداود عليه السلام، بعد قتله لجالوت، وجاءت الآية الأخرى بعد آية الإذن بالجهاد في سبيل الله تعالى، وبهذا تظهر مهمة المسلمين في هذا الوجود، بأن يكونوا سببا في الدفع لدينهم، وسببا في الدفاع عنه، وهذا ما أشار إليه القرطبي (ت 671هـ، 1273م) – رحمه الله– في تفسيره لهذه الآيات، فقال: "قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد..."[14] وفي هذا بيان لأهمية العنصر الإنساني في سنة التدافع، باعتبار الإنسان محور التفاعل في هذه الحياة، لأنه خليفة الله في هذه الأرض، وقال القرطبي (ت 671هـ، 1273م) أيضا في تفسيره لقوله تعالى:

﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**﴾ أي: لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة، فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات....[15]

وفي هذا إشارة إلى أهمية المنهج الذي يتحرك به الإنسان باعتباره العنصر الثاني في محور التفاعل الذي ينشأ عنه صور التدافع المختلفة.

وإذا كان الله جل وعلا جعل سنة التدافع بين الناس قانونا من القوانين الكونية، فقد خص عباده المؤمنين المستخلفين في الأرض، والقائمين بالدفع لهذا الدين، والدفاع به والمدافعة عنه، بالدفع عنهم حيث قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾ (الحج: 38)، جاء في "تفسير أبي السعود" (898– 982هـ، 1493– 1574م): "كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم..."،[16] وقال الرازي (ت 654هـ، 1256م): "ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم".[17]

---

[14] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (القاهرة، دار الشعب)، ج 3، ص 260.

[15] القرطبي، **الجامع**، ج12، ص 70.

[16] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج 6، ص 108.

[17] فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، **التفسير الكبير** ، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ، 2000م، الطبعة: الأولى)، ج 23، ص 34.

فمع اجتهاد الإنسان المسلم في فهم سنة التدافع وحسن التفاعل معها تبقى حاجته للمدد والعون الإلهي، قال ابن الزبير:

فوض إلى الله الأمور إذا عرت وبالله لا بالأقربين تدافع.[18]

وبعد هذه المقدمات يمكن تحديد عناصر التفاعل التي تحرك سنة التدافع بإذن الله بثلاثة عناصر؛ أما العنصر الأول فهو الإنسان باعتباره خليفة الله في هذه الأرض، وأما العنصر الثاني فهو المنهج باعتباره موجها ومؤثرا في حراك الإنسان، وأما العنصر الثالث فهو الكون باعتباره البيئة التي تحكم عملية التدافع والميدان الذي تتجلى فيه صوره في هذه الحياة، وبتفاعل الإنسان في الحياة فهما وعلما وتطبيقا وسلوكا، تتشكل القوى، وتحتشد الطاقات، وتبرز صور التدافع المتنوعة.

تعريف ببعض السنن الكونية ذات العلاقة بسنة التدافع

تمثل السنن الكونية التي وضعها الله تعالى في خلقه منظومة متكاملة ومترابطة، يؤثر بعضها في بعض، ويعزز بعضها بعضها، فلا يمكن تصور وفهم سنة من هذه السنن بصورة مجردة عن معرفة بعض الروابط لها بالسنن الأخرى ذات الصلة، ومنها:

سنة التداول: التداول هو تناقل الشيء بين أطراف متعددة، أو تنوع الحال وتعددها بالنسبة لطرف من الأطراف.[19] وهو قانون من القوانين التي سنها الله تعالى في خلقه. فمن سنة الله تعالى في خلقه أن لا تدوم لهم في هذه الدنيا حال من الأحوال، وتبرز هذه السنة من خلال سنة التدافع بين القوى المختلفة، لأن فاعلية سنة التدافع بين الناس تؤكد أن القوة والغلبة لا تدوم لطرف دون آخر، بل يبقى التداول قائما بين القوى المتنوعة، لتتسابق أطراف التدافع، وتتنافس في تحقيق الغلبة والنصرة والتمكين، وقد نص الشارع على سنة التداول فقال سبحانه وتعالى: ﴿...**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**...﴾ (آل عمران: 140).

---

[18] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، (بيروت: دار الفكر، 1995م)، ج 57، ص 274.

[19] انظر الرازي، **مختار الصحاح**، ج1، ص90.

سنة التغيير: التغيير هو تبديل الحال وتحويله من وضع إلى وضع آخر.[20] فسنة التغيير هي تبديل الأحوال الكونية من وضع إلى آخر، وهي أيضا من قوانين الله سبحانه وتعالى التي سنها في خلقه. وباعتبار سنة التدافع تفاعل بين الأطراف المتعددة، فإن من شأنها أن تغير موازين القوى في الخلق، وباعتبار الإنسان عنصرا من عناصر تفاعل سنة التدافع فهو مطالب بالتغيير والتبديل نحو الأفضل ليحقق النجاح في عملية تدافعه، وهو أيضا مُحَذَّر من الركون والكسل، والجمود والجبن، لأن ذلك أيضا سيغيره إلى الأضعف والأسوأ، وهكذا... قال سبحانه: ﴿...**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**﴾ (الرعد: 11).

سنة الإفناء والإزالة: مادة فني كما تشير كتب اللغة تدل على الانتهاء والزوال،[21] وكذلك مادة الزوال تشير إلى الانتهاء والفناء.[22] فسنة الفناء والزوال هي قانون من قوانين الله تعالى في خلقه، ومع الاعتقاد بأن الموت أمر من شأن الخالق جل وعلا، فإن أسباب الفناء و الزوال متعددة، ومنها ما يكون متصلا بالإنسان، وباعتبار أن من صور التدافع التصادم والتصارع، فإن الفناء والزوال يمكن أن يكون نتيجة لهذه الصورة من صور التدافع السلبي، وقد ذكر الله تعالى هذه السنة الكونية في كتابه العزيز فقال: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ (الرحمن: 26)، وقال أيضا: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ (الأعراف: 34).

سنة العقاب على الطغيان: الطغيان هو تجاوز الحد.[23] وهو سبب من أسباب استحقاق عقاب الأفراد والمجتمعات وإهلاكها، وذلك سنة من سنن الله تعالى في خلقه. وباعتبار الإنسان عنصرا من عناصر التدافع، فإن السنن المتعلقة بحياته وسلوكه تؤثر في صور تفاعل سنة التدافع، وعليه فإن الإنسان مطالب بالوعي بكل ما يؤثر فيه سلبا أو إيجابا، كي يكون مؤهلا مهيّأً للقيام بدوره ومسؤولياته. وقد ربط الله تعالى

---

[20] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج 5، ص 34.

[21] انظر الزبيدي، **تاج العروس**، ج 39، ص 255- 256.

[22] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج 11، ص 313.

[23] الرازي، **مختار الصحاح**، ج 1، ص 165.

بين طغيان الإنسان والأمم وهلاكها، فجعل الطغيان سببا لوقوع الهلاك، فقال جل شأنه: ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا**﴾ (الكهف: 59).

سنة الاستبدال: الإبدال هو تغيير الشيء أو وضع شيء مكان غيره.[24] وهو سنة من سنن الله تعالى في خلقه. وهذه السنة تؤكد حقيقة سنة التدافع، بإزالة الجامد والخامل، واستبداله بالنشط المتحرك، فهي وإن ذكرت في سياق الخير وأهله، فإن ذلك شأن جميع القوى الأخرى، مما يؤكد ضرورة سنة التدافع في تحقيق التوازن، واستمرار الحياة النشطة. وقد أخبرنا الحق جل جلاله بأن من سنته أن يستبدل قوما مكان قوم إذا ما تخلوا عن حمل الأمانة المنوطة بهم، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ (محمد ﷺ: 38).

سنة التعدد والتنوع: التعدد والتنوع في أمر ما يعني: وجود أشياء متنوعة، يجمعها قالب واحد أو إطار واحد.[25] والتعدد والتنوع سنة من سنن الله تعالى في خلقه، وهذه السنة من ضروريات قيام سنة التدافع، لأنها تتطلب وجود قوى متعددة ومتنوعة تحركها، سواء منها قوى الخير والصلاح، أو قوى الشر والفساد، وسواء منها المتوافق الذي يشكل كتلة مجتمعة من القوة، أو المتنافر الذي يشكل كتلة مستقلة من القوى، فسنة التعدد والتنوع تفتح المجال أمام التدافع في أطره المتنوعة ومجالاته المتعددة. وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى سنة التعدد والتنوع في كتابه الكريم، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات: 13).

سنة الابتلاء والامتحان: الابتلاء هو الاختبار والتمحيص، ويكون بالخير والشر.[26] والابتلاء والاختبار للأفراد والأمم بالخير والشر سنة من سنن الله تعالى في خلقه. ومن أسباب هذا الابتلاء تحرك القوى المتنوعة بأداء أدوارها التفاعلية، والتي

---

[24] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة بدل، ج 11 ص 48.

[25] انظر الشريف علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ، 1983م)، مادة: عدد، ص 148؛ والقاضي محمد أعلى التهانوي،**كشاف اصطلاحات الفنون**، (باكستان: نشر سهيل أكادمي لاهور، 1413هـ – 1993م)، مادة التعديد، ج 2، ص 952.

تشكل صورة من صور سنة التدافع، فما دام التدافع قائما، فإن الابتلاء سيبقى قائما أيضا، لأن من سنة الله تعالى أن يبتلي بعض خلقه ببعضهم، وهكذا...، قال سبحانه وتعالى: ﴿...**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (الأنبياء: 35).

سنة التفاضل والتمايز: التفاضل والتمايز هو التباين في الدرجات والمقامات،[27] والتنافس في السبق إلى أعلاها.[28] والتفاضل والتمايز بين الخلق أفرادا وأمما سنة من سنن الله تعالى في الخلق. ومن أسباب تحقق هذه السنة، قيام سنة التدافع بتفاعلاتها المختلفة، وأبعادها المتنوعة، قال جل شأنه: ﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**...﴾ (النحل: 71)، وقد تحدث محمد عمارة –حفظه الله– عن الصفات التي يمكن أن يكون فيها التفاضل والتمايز المعتبر، فقال: "أما الصفات التي يتم فيها وبها التفاضل بين الناس، فهي الصفات المكتسبة، التي يخضع اكتسابها والتفاوت في درجاتها للإرادات والطموحات والقدرات والمهارات...".[29]

مجالات التدافع وأنواعه

بقدر ما يحسن الإنسان التفاعل مع سنة التدافع، ويسير فيها على بصيرة من أمره، بفهم آلياتها، وامتلاك أسباب القوة فيها على تنوع مجالاتها وأنواعها، وحسن استثمارها وتوجيهها، بقدر ما يتحقق له الدفع نحو التقدم، حتى الظهور على الآخر والتفوق عليه، وذلك في مجالات الحياة المختلفة، لأن الإنسان هو خليفة الله في هذه الأرض، قال جل شأنه: ﴿...**وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ (الأعراف: 129)، ومن هنا كان الإنسان هو المكلف بوعي هذه السنة الكونية، وبتفاعلاته ترتبط

---

[26] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج 14، ص 83- 84.

[27] ابن منظور، **لسان العرب**، ج 11، مادة فضل، ص 524.

[28] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، تحقيق: إبراهيم مصطفى، و أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، (د. ن.: دار الدعوة، د. ت.)، ج 2، ص 693، مادة فضل.

[29] محمد عمارة، **احترام المقدسات، خيرية الأمة، عوامل تفوق الإسلام**، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، 1426هـ، 2005م)، سلسلة هذا هو الإسلام، رقم 3، ص 41.

مظاهرها، وقد ذكر الأصفهاني (ت 502هـ، 1108م) -رحمه الله- مجالات عمل الإنسان في هذه الدنيا، فقال:

فالفعل المختص بالإنسان ثلاثة: **عمارة الأرض** المذكورة في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**...﴾ (هود: 61)، وذلك تحصيل ما به تزجية[30] المعاش لنفسه وغيره، **وعبادته** المذكورة في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات: 56)، وذلك هو الامتثال للباري تعالى في عبادته في أوامره ونواهيه، و**خلافته** المذكورة في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ (الأعراف: 129)، وغيرها من الآيات.[31]

وباعتبار أن تفاعلات الإنسان باختياره المنهج الذي يسير عليه، وتدينه به، وتصرفه مع الكون والحياة، يشكل الحضارة الإنسانية، فقد رأيت الدخول إلى مجالات التدافع من خلال المدخل الحضاري للأمم والشعوب، فالحضارة هي عبارة عن الصورة الحاضرة عن أمة من الأمم فيما قدمته للإنسانية من منتجات تفاعل أفرادها في مجالات الحياة جميعها، وقد اخترت هذا التعريف للحضارة لما رأيت من تناسبه مع دلالات اللغة من جهة،[32] وانسجامه مع المضامين المتعددة لمفهوم الحضارة في المصطلحات العلمية الحديثة، فقد توجه ابن خلدون (732-808هـ، 1332-1406م) – رحمه الله- إلى ربط الحضارة بالجانب العمراني البشري، فقال: "الفصل الثالث: في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها...، وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها فتفهمه"[33].

وذكر مالك بن نبي (1323- 1393هـ، 1905- 1973م) –رحمه الله- محاور الحضارة التي ينبني عليها التدافع في بعض صوره وأشكاله، وذلك عند حديثه عن عناصر الحضارة التي تقوم عليها، حيث قال:

---

[30] زجى الشيء تزجية: دفعه برفق، الرازي، **مختار الصحاح**، ج 1، ص 113.

[31] أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1400هـ، 1980م)، ص 31- 32.

[32] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج 4، مادة حضر، ص 196؛ مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج 1، ص 180، مادة حضر.

[33] ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج 1، ص 122، الفصل الثالث.

إنسان + تراب + وقت = حضارة، وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت...، ثم يشير إلى دور الدين في ذلك فيقول: إن هناك ما يطلق عليه مركِّب الحضارة، أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض....[34]

كما حرص بعض المفكرين المسلمين على إضافة البعد القيمي والديني على مفهوم الحضارة، باعتباره منهجا حاكما وضابطا لسلوك الإنسان في تعامله وسيره في الحياة، فقال سيد قطب (1324- 1387هـ، 1906- 1967م) -رحمه الله-:

الإِسْلامُ هُوَ الحَضَارَة، الإسلام لا يعرف إلا نوعين اثنين من المجتمعات ... مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي..، المجتمع الإسلامي هو: المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام؛ عقيدة وعبادة، وشريعة ونظاماً، وخلقاً وسلوكاً..، والمجتمع الجاهلي هو: المجتمع الذي لا يطبق فيه الإسلام، ولا تحكمه عقيدته وتصوراته، وقيمه وموازينه، ونظامه وشرائعه، وخلقه وسلوكه....[35]

وتعتبر الثقافة جزء من الحضارة، باعتبارها المعارف والعلوم والفنون المحركة للأمم والمجتمعات البشرية،[36] والثقافة هي الإدراك مع الحذق والفهم،[37] وعرف يوسف القرضاوي -حفظه الله- الثقافة بأنها: "أفكار ومعارف وإدراكات، ممزوجة بقيم وعقائديات، ووجدانيات، تعبر عنها أخلاق وعبادات، وآداب وسلوكيات، كما تعبر عنها علوم وآداب وفنون متنوعات، وماديات ومعنويات".[38]

فالثقافة مستمدة من القيم والمبادئ والأديان والمعارف التي تؤمن بها المجتمعات، والتي تحذق فيها، وهي الموجه والمحرك لتفاعل الإنسان مع الحياة التي يعيش فيها، ليثمر

---

[34] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، (لبنان: دار الفكر المعاصر، وسورية: دار الفكر، طبعة 1420هـ، 2000م)، سلسلة مشكلات الحضارة، ص 50- 55.

[35] سيد قطب، **معالم في الطريق**، ص 98.

[36] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج 1، ص 98، مادة ثقف.

[37] محمد عبد الرؤوف المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق، دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1410هـ)، ج 1، ص 221.

[38] يوسف القرضاوي، **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الثانية، 1425هـ، 2005م)، ص 14.

عن هذا التفاعل تلك الصورة الحضارية التي تميز المجتمعات بعضها عن بعض، لتمايزها في الخصائص والمعالم.

وقد جعل صامويل هنتنجتون (1927- 2008م) الثقافة محورا للصراع الحضاري، بعد فصله الجانب العقدي والاقتصادي عن الثقافة، فقال: "إن فرضيتي تقوم على أن المصدر الجوهري للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون في الأصل أيديولوجيا أو في الأصل اقتصاديا، وإنما ستكون الانقسامات الكبيرة بين الجنس البشري والمصدر السائد للصراع ثقافيا...".[39]

بينما تأتي حضارة الإسلام منفتحة على الحضارات الأخرى، تجعل من قول الله تعالى: ﴿**لِتَعَارَفُوا**﴾ (الحجرات: 13)، شعارا لها، وبهذا تمهد لسنة التدافع الحضاري في أوسع صورها، وفي هذا يقول أحمد الراوي –حفظه الله-: "الحضارة الإسلامية بصفة خاصة، تقوم على إدراك صفة التنوع البشري، وتتعامل معه بإيجابية وانفتاح مع ما يستتبعه من تنوع ثقافي وحضاري، فهي لا تعترف بذلك وحسب، بل تعده معه مكسبا جماعيا، ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾".[40]

ومن أبرز مجالات التدافع الحضاري:

أ- **التدافع الديني**: الدين هو ما يعتقده الإنسان،[41] جاء في "التعريفات": "الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى دينا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهبا، وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد".[42]

---

[39] محمد عمارة، **الحضارات العالمية تدافع أم صراع**، ص 23.

[40] أحمد الراوي، **الوسطية والبعد الحضاري**، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المركز العالمي للوسطية)، سلسلة الأمة الوسط، العدد 8 ، ص 10.

[41] انظر أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، **معجم مقاليد العلوم**، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، (مصر: القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة: الأولى، 1424هـ، 2004م)، ج 1، ص 74، المصطلح رقم 378؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ج 8، ص 72- 73.

[42] علي بن محمد بن علي الجرجاني، **التعريفات**، ج 1، ص 141، المصطلح رقم 698.

والتدين، أي بزيادة التاء والتشديد،[43] يشير إلى تلك الصورة التي تعكس التزام وتمسك وتكلف الإنسان بالدين، فهي حالة من حالات تفاعل الإنسان مع الدين، ومظهره حال انتسابه إليه، فهو النموذج العملي للدين، وبهذا يمكن التقرير بأن مظاهر التدين وأشكاله يمكن أن تتعدد وتتنوع في مساحات مختلفة، وأطر متفاوتة، فما كان منها ملتزما بإطار الثوابت والكليات كان اجتهادا مقبولا، وصوابا نسبيا، وما كان منها متجاوزا حدود الثوابت والكليات كان ضلالا أو باطلا غير مقبول.

والدين من أبرز المجالات التي كانت ولا تزال موضوعا للتدافع، سواء أكان الدين حقا أم باطلا، محفوظا أم محرفا، ربانيا أم بشريا، وقد تعددت مظاهر التدافع الديني، من دعوات سلمية، إلى غزوات فكرية، أو حروب عسكرية، حتى أصبح التدافع الديني فنا من الفنون في كثير من الديانات، له ميزانياته الخاصة، ورجالاته المتخصصة، ووسائله المتنوعة، وأبوابه المختلفة، وبطاناته المتعددة، وأبعاده القيمية[44] والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، وهكذا.[45]

ب- التدافع الفكري: الفكر هو إعمال العقل فيما هو معلوم للوصول إلى المجهول،[46] فمن شأن الإنسان ولا سيما العقلاء من البشر أن يُعملوا عقولهم فيما يلحظوه ويشاهدوه، وفيما عرفوه وتعلموه، ليدرسوا الأمور، ويحللوا المسائل، ويقيسوا الصور، ويستنبطوا العبر، ويتوصلوا إلى النتائج، في جميع مناحي الحياة، الديني منها والدنيوي.

ويعتبر الفكر مصدرا من المصادر البشرية لبناء الحضارات، و أداة من أدوات التوجيه للحراك التدافعي بين الأمم، من خلال التحليل والفهم والاستنباط، والتوجيه، ونظرا لتوسع مجالات الفكر، وتنوع مناهجه وأساليبه ووسائله من جهة، وتباين الإمكانات العقلية لدى الناس بشكل عام وتأثرها بما يحيط بها من بيئة وثقافة، فإن

---

[43] انظر محمد محيي الدين عبد الحميد، دروس التصريف، (المكتبة العصرية، بيروت، 1411هـ، 1990م)، ص 77-78، نقلا عن موقع دار العلوم:
.http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/1185620421/fix5sub3file.htm

[44] محمد عمارة، **صراع القيم بين الغرب والإسلام**، (نهضة: مصر، 1997م)، سلسلة التنوير الإسلامي، العدد 9، ص 6.

[45] من هذه المظاهر: الحروب الصليبية المتتالية على العالم الإسلامي، بأقنعتها المتعددة.

[46] انظر الجرجاني، **التعريفات**، ج1، ص 54؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج 5، مادة فكر، ص 65.

المخرجات الفكرية قد تعددت، والنتائج العقلية قد تنوعت، إلى مدارس ومناهج فكرية تتراوح بين التوسيع والتضييق، وبين الجمود والانفتاح، على درجات مختلفة، حيث يؤدي كل اتجاه دوره في تفعيل عملية التدافع بين الحضارات، وقد ذكر فريد الأنصاري (1380- 1430هـ، 1960- 2009م) –رحمه الله–، هذا التدافع القائم على تباين الرؤى الفكرية في المجال الدعوي، فقال:

> والحركة الإسلامية بجميع أصنافها الاحتجاجية[47] والاستيعابية،[48] هي حركة تدافعية بالمعنى القرآني للكلمة، من قول الله عز وجل:﴿...**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ**...﴾ (البقرة: 2)، فالتدافع إذن هو القاسم المشترك لشتى التنظيمات والتصورات الاجتهادية في المجال الدعوي.[49]

ت– التدافع العلمي: العلم هو اليقين ومعرفة الشيء،[50] والعلم النافع سبيل إلى تحقيق كرامة الإنسان التي خصه بها رب العزة والجلال من بين سائر خلقه، إن أحسن الإنسان تسخيره في الحياة، وهو أساس لرقي الحضارات وريادتها، قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾ (الإسراء: 70).

ونظرا للأثر الكبير الذي يثمر عنه العلم في تقدم الحضارات وتميزها، فقد تسابقت الأمم في ميدان العلم والتعلم والتعليم، وتوسيع مجالات العلم، وتيسير وسائله وسبله، وتطبيقه وتجريبه، والإبداع والاختراع في أبوابه المختلفة، ونقل تلك العلوم إلى الآخرين، من خلال تصدير المخرجات والمنتجات، أو استقطاب الكفاءات والقدرات، وتكريم العلماء والنابغين، حتى أصبح المجال العلمي من أبرز المجالات المؤثرة في التدافع الحضاري به تُقَيَّم الشعوب، وبه ترتفع الأمم والمجتمعات، وبه تنال الرتب والدرجات.

---

[47] وهي المواجهة، والمصادمة.

[48] وهي المجاملة، والمسالمة.

[49] فريد الأنصاري، **الفجور السياسي والحركة الإسلامية، دراسة في التدافع الاجتماعي**، (مصر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1423هـ، 2003م)، ص 87.

[50] انظر أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، (بيروت، المكتبة العلمية)، ج 2، ص 427.

ث- التدافع السياسي: السياسة هي القيام على أمر من الأمور[51]، وتعتبر السياسة مُفَعِّلا من محركات الحضارات وأهلها، وميدانا من ميادين التدافع الحضاري، حيث تسهم في تحقيق الريادة والظهور، والسيطرة والنفوذ لهذه الحضارات، ولهذا تتسابق القوى المختلفة في تنشيط دورها السياسي، سواء على المستوى المحلي، أو الإقليمي، أو العالمي، لتكون لها زمام القيادة والريادة والسيادة على غيرها من المجتمعات البشرية، ولتكون لها كلمة الفصل في الأمور جميعها، وليكون ذلك سبيلا لفرض حضارتها بما تحمله من معتقدات وثقافات ومخرجات على الناس جميعا...بل توسع نطاق السياسة لدى بعض القوى العالمية ليؤثر في مقدرات الأمم والشعوب الأخرى، بحيث تسخرها لصالحها اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا...، وذلك بتوجيه المسار لصالحها، وترويض الآخرين على طاعتها والسير وفق مخططاتها ورغباتها.

والسياسة مظهر من مظاهر خلافة الإنسان في الأرض، قال ابن خلدون (732- 808هـ، 1332- 1406م) -رحمه الله-:

> لما تبين أن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا، فصاحب الشرع متصرف في الأمرين، أما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية الذي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها، وأما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري، وقد قدمنا أن هذا العمران ضروري للبشر، وأن رعاية مصالحه كذلك، لئلا تفسد إن أهملت، وقدمنا أن الملك وسطوته كاف في حصول هذه المصالح، نعم إنما تكون أكمل إذا كانت بالأحكام الشرعية، لأنه أعلم بهذه المصالح، فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة إذا كان إسلاميا، ويكون من توابعها.[52]

ج- التدافع الاقتصادي: مادة القصد تشير إلى الاستقامة والاعتدال،[53] والاقتصاد هو الاستقامة والاعتدال في التصرف بالأموال والصنائع والمدخرات وحسن إدارتها وتسخيرها لخدمة المجتمعات الإنسانية.

---

[51] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج 6، ص 108.

[52] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، **مقدمة ابن خلدون**، (بيروت، دار القلم، الطبعة: الخامسة، 1984م)، ج 1، ص 218- 219، الفصل الحادي والثلاثون.

[53] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج 3، ص 353- 354، مادة القصد.

والمال عصب الحياة، وعنصر من العناصر المؤثرة في الحضارات، فهو أداة لتحريك التفاعلات التدافعية بين الحضارات، وهو من أبرز المجالات التي تتنافس فيها القوى المختلفة، سواء من حيث الجمع والتحصيل، أو من حيث الإنفاق والصرف، ليكون لها التفوق الاقتصادي، بالسيطرة على حركة الاقتصاد العالمي، والتحكم في الثروات وتوجيهها لصالحها، حتى وصل الأمر بكثير من هذه القوى إلى حد الطغيان، وتجاوز الحدود، وأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿**كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى. أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى**﴾ (العلق: 6- 7).

ح- التدافع الإعلامي: الإعلام هو التواصل بين المرسل والمتلقي عبر الرسالة المنقولة بوسائل مختلفة مقروءة أو مسموعة أو مرئية[54]، وقد تطور الاتصال والإعلام مع تتابع الأزمان والعصور، حتى وصل في عصرنا إلى مستوى من التفاعل السريع والمباشر بين الأطراف المختلفة لعملية الاتصال الإعلامية، وأصبح ميدان الاتصال من أبرز الميادين التي تتسابق الأمم في تطوير وسائلها، وحسن استغلالها، وتسخيرها لنشر رغباتها، وتحقيق أهدافها.

ويعتبر المجال الإعلامي من أبرز مجالات تفعيل عملية التدافع الحضاري بين الأمم والشعوب، ومن أهم أدواتها، فقد استخدمت هذه الوسائل استخدامات متعددة، بدءاً من نشر الأفكار والمعتقدات والمناهج والاتجاهات، إلى الترويج والتزيين وتلبية الرغبات، إلى وسائل للتنسيق والترتيب والتواصل بين الدول والمؤسسات والشركات، سواء منها الرسمي أو الشعبي، المسموح له بممارسة النشاط أو الممنوع، الموجه للخير أو للشر، كما قامت جهود كبيرة واستخدمت تقنيات كثيرة للرقابة والمتابعة، والتضييق والحجب، إلا أن ثورة الاتصال قد تجاوزت تلك الحدود الرقابية، مما جعل منها ميدانا من الميادين التي يستثمرها أطراف التدافع المختلفة، وامتد أثر الإعلام في جوانب الحياة الأخرى، وتوسع ليلقي بظلاله على الجوانب السياسية الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وغيرها.

---

[54] انظر سعيد صيني، **مدخل إلى الإعلام الإسلامي**، (القاهرة، دار الحقيقة للإعلام الـــدولي، 1411هـ، 1991م)، بتصرف، ص 34- 35.

خ–التدافع الصناعي والتقني: الصناعة هي احتراف الإنسان في أمر من الأمور التي يمارسها ويمهر فيها،[55] فلكل صنعة وحرفة قواعدها وأصولها، وآلياتها، وسائلها، التي تشكل منها فنا أو علما، فيقال علم أو تقنية كذا، وعلم أو تقنية كذا...، وفقه هذا الفن والعلم به، والحذق في تطبيقه يعتبر إتقانا.

والصناعة والتقنية الحديثة أصبحت من أهم مقومات تقدم الأمم والحضارات ورقيها، حتى إن بعض الأمم جعلت من الصناعة أولى اختياراتها في ميدان التدافع الحضاري العالمي، وسخرت لذلك قدراتها حتى فاقت غيرها في هذا المجال، فأنشأت كليات متخصصة للتعليم والتأهيل التقني بمختلف حرفه، تقوم بتخريج الكوادر الفنية المؤهلة علمياً وعملياً للعمل في المجالات الفنية التي تسهم بشكل مباشر في الصناعة وبناء الاقتصاد الوطني.

د– التدافع العسكري: يطلق مصطلح العسكر على جانب الإعداد المعنوي والمادي للحماية والمواجهة،[56] والإعداد العسكري من الناحية البشرية والتقنية والصناعية يعتبر مطلبا من مطالب التدافع الحضاري المعاصرة التي تتسابق فيه الأمم، وتسعى إلى التميز فيه، وذلك لتحافظ الأمم والشعوب على حقوقها وممتلكاتها، وفرض مكانتها وهيبتها على غيرها، بل هو وسيلة إلى تنفيذ إرادتها والسيطرة على غيرها، والتحكم فيه، حتى أصبح سباق التسلح في الشرق والغرب من أبرز مقومات التدافع في هذا العصر.

ومع أهمية الجانب العسكري في استقرار الأمم والشعوب، وحاجتهم إليه لحماية أنفسهم وحقوقهم، إلا أن بعضا من الأمم تجاوزت الحدود، وطغت في استخدام تلك الوسيلة، حتى أصبحت نقمة وخطرا على العالم، تعقد له المؤتمرات وتفرض من أجله القيود والحدود، ويوقع من أجله على المواثيق والعهود. إلى غير ذلك من مجالات للتدافع الحضاري بين الناس.

---

[55] انظر مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج 1، ص 525؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج 13، ص 73؛ موقع الكلية التقنية بالزلفي: (http://www.zct.edu.sa/NewsDetails.php?id=37&cat=9).

[56] ابن منظور، **لسان العرب**، ج 4، ص 567– 568.

آليات التدافع ووسائله

لما كان التدافع تفاعل بين أطراف متعددة من القوى التي يحركها الإنسان، منها ما يقوم على جوانب الخير ومجالاته، ومنها ما يقوم على جوانب الشر ومتاهاته، فقد تنوعت آلياته ووسائله، بناء على تنوع مكونات الإنسان ومركباته، فمن آليات ووسائل قلبية وعاطفية، إلى وسائل عقلية وفكرية، إلى وسائل عملية وحركية، ، كما تنوعت هذه الآليات والوسائل لتشمل صور وأشكال التدافع المتنوعة الإيجابي منها والسلبي، والتوافقي أو التضادي، كما سبق بيانه عند تعريف سنة التدافع، قال عمر عبيد حسنه –حفظه الله–:

> فالصراع والتدافع، هو سبيل الحيوية والنمو والازدياد، وعلامة الحياة والاستمرار، ابتداءا من الخلية، وانتهاءاً بالحياة الحية.. وهو إحدى محركات الحياة الاجتماعية، وامتداد التاريخ البشري، وله صوره المتعددة، وشوكاته المتنوعة، من الحوار والمفاكرة، والمثاقفة والمناظرة، والقتال والمواجهة، والمنافسة والسباق، والمغالبة.[57]

ومن أبرز آليات التدافع ووسائله المعاصرة:

1- الآليات والوسائل القلبية أو العاطفية:

أ– الصبر والتحمل: الصبر هو حبس النفس عند الشدائد[58]، والصبر من الوسائل المعنوية التي يحتاج إليها الإنسان في حياته، ولا سيما في ميدان التدافع بين الناس، لما يواجهه الإنسان فيه من ظروف قاهرة، وأمور عصيبة، ومتطلبات عظيمة، تجعل من الصبر واجبا شرعيا، ومتطلبا كونيا.

والصبر يحتاجه الإنسان في تدافعاته الداخلية بين دواعي الخير والفطرة السليمة، وبين سطوة الشر ولمته الشيطانية، إضافة إلى الحاجة إليه في الحياة وظروفها وتحدياتها الشديدة، ومن هنا جاء التوجيه القرآني إلى أهمية الصبر، والاستعانة به على تحمل الرسالة، وأداء الأمانة، قال جل شأنه: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ (البقرة: 45).

---

[57] القديري، **الإسلام وصراع الحضارات**، ص 10- 11.

[58] انظر الزبيدي، **تاج العروس**، ج 12، ص 271- 273.

ب- الفداء والتضحية: التضحية والفداء بذل المحبوب المقدور عليه لمحبوب ومرغوب أعظم منه،[59] والفداء والتضحية في سبيل الخير والهدى من مقتضيات التدافع ومتطلباته، وهما من الصفات القلبية التي تنبثق عنها مواقف ومجاهدات عملية، فقد وصف الله تعالى رسوله ﷺ، والمؤمنين معه بالتضحية والبذل والعطاء، فقال جل شأنه: ﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (التوبة: 88).

وما يزال الناس يبذلون من أموالهم وأملاكهم وجهودهم وأنفسهم في تحقيق مطالبهم وأهدافهم ومآربهم، في طريق الخير والرشاد، وفي طريق الشر والفساد.

2- الآليات والوسائل العقلية والفكرية:

أ- التخطيط والترتيب: التخطيط عبارة عن وضع الطرق المناسبة للوصول الأمثل إلى تحقيق الغايات والأهداف، وفقا للإمكانيات، وتنظيمها وترتيبها وكتابتها،[60] وأما الترتيب فهو وضح الشيء في مرتبته وتثبيته في مكانه المناسب من الخطة.[61]

ومن مقتضيات العقل والحكمة في توجيه الحراك البشري في تفاعلاته التدافعية أن تقوم على بصيرة ورؤى واضحة، وخطط وبرامج مدروسة، تعتمد على الحقائق والتجارب، وتتعرف على الإمكانيات والقدرات المتاحة، وتحدد الآليات والوسائل المطلوبة، وتقدر النتائج والعقبات المتوقعة، وتقترح المعالجات والبدائل الممكنة.

ب- الحوار والتفاوض: الحوار والتفاوض عبارة عن المجاوبة والمناقشة والمخاصمة،[62] والحوار والتفاوض أسلوبين من الأساليب البشرية التي تفعل وتحرك سنة التدافع بين القوى المختلفة، سواء كان الحوار بين قوى التدافع الإيجابي أو السلبي فيما بينها، والذي يسمى بالحوار مع الذات، أو كان بين الاتجاهين المتضادين فيما بينهما، وهو ما يسمى بالحوار مع الآخر.

---

[59] انظر، ابن منظور، **لسان العرب**، ج 15، ص 151.

[60] ابن منظور، **لسان العرب**، ج 7، ص 287.

[61] ابن منظور، **لسان العرب**، ج 1، ص 409- 410.

[62] انظر مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج 1، ص 205، وج 1، ص 111.

والحوار مجال للمصارحة بين الناس، وفرصة للتقارب والتكامل معهم، ووسيلة للتعاون في المتفق عليه، والإعذار في المختلف فيه، مما يضيق مساحات الخلاف بين الشركاء، ويعين على تفعيل المشتركات بينهم، قال القرضاوي –حفظه الله–: "إن الصراع بين الحضارات ليس ضرورة توجبها طبيعة اختلاف الحضارات، فقد تستطيع الحضارات المختلفة أن تتحاور وأن تتعايش، ولا تتصارع، بل يأخذ بعضها من بعض عن طريق التلاقح والتبادل".[63]

كما يتضمن الحوار التفاوض والموادعة: من خلال المجاراة والمساواة والمصالحة،[64] وإعطاء الأمان للآخر، وتوثيق ما اتفق عليه، ويثمر عن هذا التفاوض المصالحة والاتفاق على العهود[65] والمواثيق.

3- الآليات والوسائل العملية والحركية:

أ- التعاون والمظاهرة: التعاون والمظاهرة تشيران إلى التفاهم والتساعد والمؤازرة والمساندة بين أطراف متعددة من أطراف التدافع،[66] ومع كثرة الخلق في أعداهم، واختلافهم في أجناسهم، وتباينهم في قدراتهم، وتنوعهم في معارفهم وثقافاتهم، يبقى التعاون وسيلة من أهم الوسائل التي تبرز صورة التكامل والانسجام بين الناس، سواء كان هذا التعاون في سبيل الخير، أو كان في سبيل الشر، فالتعاون والتظاهر وسيلة من وسائل التدافع السلمي بين الأطراف المختلفة، يسعى إليه المتفقون لتحقيق أهداف مرحلية، أو الوصول إلى غايات مشتركة فيما بينهم. قال سبحانه: ﴿...**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (المائدة: 2).

ب- التكتل والتجمع: التكتل والتجمع عبارة عن التقارب والتفاهم والانضمام والتوحد،[67] ويعتبر التجمع والتكتل صورة متقدمة من صور التفاهم

---

[63] يوسف القرضاوي، **المسلمون والعولمة**، ص 116- 117.

[64] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج 7، ص 210، والفيومي، **المصباح المنير**، ج 2، ص 653.

[65] انظر الرازي، **مختار الصحاح**، ج 1، ص 192.

[66] انظر مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج 2، ص 638، و ج 2، ص 578.

[67] انظر مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج 2، ص 776. وج 1، ص 135.

والتعاون، فإذا كان التعاون والمظاهرة يتم بالتوافق والمساندة المادية والمعنوية، ولا يلزم منه التجمع والتكتل، فإن التجمع والتكتل يلزم منه الاجتماع والوحدة العملية، وتوجيه القوى نحو التدافع في مجالاتها المتنوعة.

وما زالت التكتلات والتجمعات تقوم على أسس وقواعد دينية ودنيوية لتحقيق السبق والمنافسة في الحصول على المرغوبات، ومواجهة التحديات، مما جعل منها وسيلة من أبرز وسائل التدافع بين الناس.

ت- المداراة والمجاملة: المداراة والمجاملة تشيران إلى الملاينة والمداجاة في الظاهر وإن لم تكن المحبة والصفاء في القلب،[68] ولقيام الإنسان بدوره في تحريك سنة التدافع نحو تحقيق أهدافه وغاياته لا بد أن يحسن التعامل مع الآخرين، وذلك بحكمة بالغة واستيعاب كبير، تحقيقا للمصالح المطلوبة، ودفعا للمفاسد المحذورة، فلا يحسن بالإنسان أن يعبر بصراحة عن أهدافه ومعتقداته، إن كان ذلك حاجزا له عن تحقيق النجاح في مدافعاته، كما لا يحسن تجاوز الحد في المداراة والمجاملات إن أدت إلى تفويت المصالح، والأمور تقدر بقدرها.

ث- التسابق والمنافسة: التسابق والتنافس يشيران إلى الرغبة في الشيء والسبق في الوصول إليه،[69] فالتنافس بين الناس محرك من محركات التدافع بينهم، حيث يسخر كل طرف إمكاناته، ويوجه طاقاته وقدراته للسبق في تحقيق ما يصبو إليه، والحصول على رغباته قبل غيره، أو الاستئثار والتفرد به دون الآخرين.

ومع تعدد المرغوبات في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واختلاف المتسابقين في تحقيق رغباتهم، فقد توسعت مجالات التنافس والتسابق الديني والدنيوي، وسلك السالكون في سبيل ذلك طرقا كثيرة، ليبرزوا بنشاطهم هذا وسيلة من وسائل سنة التدافع بين الناس.

ج- التسخير والاستسلام: وهما صورة من أشكال العلاقة بين الأطراف والقوى المختلفة، بحيث يكون كل طرف خادم للطرف الآخر ومسخِّر له، ومستفيد

---

[68] انظر الرازي، **مختار الصحاح**، ج 1، ص 86؛ الفراهيدي، **العين**، ج 6، ص 142.

[69] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج 6، ص 238؛ الزبيدي، **تاج العروس**، ج 16، ص 570.

منه، أو قاهر له ومتسلط عليه، ومجبر له على فعل ما يراه،[70] ، قال القرطبي (ت 671هـ، 1273م)، في قوله تعالى: ﴿**لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾ (الزخرف: 32): "قال السدي وابن زيد: خولا وخداما يسخر الأغنياءُ الفقراءَ فيكون به بعضهم سببا لمعاش بعض، وقال قتادة والضحاك يعني ليملك بعضهم بعضا".[71] وقيل: "النّاسُ بالنّاسِ من حَضَرٍ وبادِيَةٍ، بعضٌ لبعضٍ، وإن لم يَشعُروا، خدَم".[72]

وأما إذا تجاوز الأمر التسخير السنني إلى التسخير التسلطي، تحول الأمر إلى الخضوع والاستسلام القهري، والاستجابة المجردة عن الإرادة الذاتية للإنسان.

ح- الهجرة والتنقل: الهجرة هي ترك أمر إلى ما هو أولى منه،[73] والهجرة والتنقل وسيلة من وسائل تفاعل الإنسان في هذه الحياة، وتحقيق أهدافه، والوصول إلى مبتغاه، لما في الهجرة والتنقل من فوائد ومكاسب تعود على الإنسان.

فبالهجرة والتنقل يحافظ الإنسان على حقوقه، وبها ينشر رسالته، ومن خلالها ينمي خبراته، ويتعرف على من يشاركه في رسالته وأهدافه، فهي مظهر من مظاهر الحراك التدافعي بين الناس.

خ- المواجهة[74] **والقتال**[75]: المواجهة والقتال من الآليات التصادمية في ميدان التدافع، وهما من أقدم آليات التدافع وأخطرها أثرا، حيث عرف التاريخ البشري مواجهات كثيرة، وحروب طويلة، منها الديني ومنها الاجتماعي، ومنها الاقتصادي...، قبل الإسلام وبعده، فكان من هذه الأحداث ما يتوافق مع القيم والمبادئ الإنسانية والإسلامية، ومنها ما يتعارض معها.

وقد جعل الإسلام من المواجهة والقتال وسيلة من وسائله في مواجهة الآخر، واشتق لها مصطلحا شرعيا، له أبعاده وضوابطه وشروطه وأشكاله، وهو مصطلح الجهاد،

---

[70] انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ج 4، ص 353.

[71] القرطبي، **الجامع**، ج 16، ص 83.

[72] علي الجارم و مصطفى أمين، **البلاغةُ الواضِحَةُ**، ج، 1، ص 249.

[73] انظر الزبيدي، **تاج العروس**، ج 14، ص 396.

[74] انظر الرازي، **مختار الصحاح**، ج 1، ص 296.

[75] انظر مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج 2، ص 715، و ج 1، ص 163.

الذي هو ذروة سنام الإسلام، بما يشمله من جهاد للنفس والهوى، وجهاد للشيطان، وجهاد للأعداء، وجهاد بالدعوة، والكتابة واللسان، إلى غير ذلك من مجالات الجهاد وأشكاله. إلى غير ذلك من آليات ووسائل تسهم في تفعيل سنة التدافع بين الناس.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة المختصرة عن سنة التدافع نتبين أهمية التدبر في السنن الكونية التي أودعها الله تعالى في خلقه، لأن فقهها يرشد الإنسان إلى طريق الهدى والنور فيسير على بصيرة من الأمر في أعماله الدينية والدنيوية، ومن هذه السنن الكونية سنة التدافع التي يسر الله تعالى لي دراستها في هذا البحث الموجز، وأبرز نتائجه هي:

1- سنة التدافع هي طريقة الله تعالى في توجيه التفاعل بين القوى المتعددة بحيث يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به، إيجابا أو سلبا، وذلك بصورة مستمرة ومتتابعة، تسهم في تحقيق التوازن بينها أولا، وتنتهي بظهور بعضها على بعض آخراً.

2- تتضمن سنة التدافع التفاعل الإيجابي في تحقيق التوازن بين القوى المتنوعة نحو التكامل والتتميم، والتفاعل السلبي في تحقيق التوازن في العلاقة بين المتضادات نحو التصادم والتصارع.

3- العناصر التي تحرك سنة التدافع بإذن الله، هي: الإنسان باعتباره خليفة الله في هذه الأرض، والمنهج باعتباره موجها ومؤثرا في حراك الإنسان، والكون باعتباره البيئة التي تحكم عملية التدافع، وبتفاعل الإنسان مع الكون والحياة فهما وعلما وتطبيقا وسلوكا، تتشكل القوى، وتحتشد الطاقات، وتبرز صور التدافع المتنوعة.

4- تتصل سنة التدافع بين الناس بعدد من السنن الكونية الأخرى، ومنها: سنة التداول بين الناس، وسنة التغيير، وسنة الإفناء والإزالة، وسنة العقاب على الطغيان، وسنة الاستبدال، وسنة التعدد والتنوع، وسنة الابتلاء والامتحان، وسنة التفاضل والتمايز، وغيرها من السنن.

5- تبرز سنة التدافع بين الناس من خلال المعطيات الحضارية المتنوعة للبشر، وذلك في عدد من المجالات، منها: التدافع الديني، والتدافع الفكري، والتدافع العلمي،

والتدافع السياسي، والتدافع الاقتصادي، والتدافع الإعلامي، والتدافع الصناعي والتقني، والتدافع العسكري، إلى غير ذلك من مجالات للتدافع الحضاري بين الناس.

6- لسنة التدافع بين الناس آليات ووسائل؛ تتنوع بتنوع مكونات الإنسان، القلبية والعقلية والحركية، فمن الآليات والوسائل القلبية أو العاطفية: الصبر والتحمل، والفداء والتضحية، وغيرها، ومن الآليات والوسائل العقلية والفكرية: التخطيط والترتيب، والحوار والتفاوض، وغيرها، ومن الآليات والوسائل العملية والحركية: التعاون والمظاهرة، والتكتل والتجمع، والمداراة والمجاملة، والتسابق والمنافسة، والتسخير والاستسلام، والهجرة والتنقل، والمواجهة والقتال، إلى غير ذلك من آليات ووسائل.

وفي الختام أحمده سبحانه وتعالى أن وفقني لإتمام هذا البحث، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.